وبيروت الغربية اصبح عبورها بالغ الصعوبة وقد يسل في كثير من الاحيان حد الاستحالة · المناطق تغلق ، تعاني مشاكلها وحيدة ، حصار في اكثر الاحيان ، حرب تجويع وتركيع وحرب انتصارات ساحقة · ومع اشتداد اغلاق المناطق بدت امكانية كسر المتاريس التي تغلقها عبر الاجتياح · لقد انتهى عهد الطمانينة التقليدية ، بعد سقوط الهوليداي ان اصبحت الطريق الى الاشرفية ممكنة ، وبسقوط عينطورة والمتين اصبحت طريق بكفيا ممكنة ، وفي فترة انهيار الطرف الانعزالي كانت الكمالة حتى الحازمية غير مستحيلة · لقد دخلنا مرحلة الصراع الشاملة · وباختلال ميزان القوى بعد اجتياح البقاع وعكار ، كتب تل الزعتر عبر شهرين من الاساطير القتالية ملحمة صموده وسقطت الكورة وابتدا الحديث والتهويل باجتياح طرابلس وبيروت الغربية · سقط الامن القديم القائم على تجربة ١٩٥٨ ·

لقد عكست الحالة الجديدة نفسها على الواقع الجماهيري · لم تعد هناك منطقة خارج الحرب · لبنان باسره من شماله الى جنوبه يدخل الانقسام والصراع · اختلطت الجبهات والتحالفات ، وبدا وكان التاريخ يكتب احد اهم فصوله ·

٢ ــ النظر الى الحرب من الخارج وفي المناطق « الآمنة » اصبح مستحيلا · لقد دخلت الحرب كل بيت · اصبح الكل معنيا بها بارادته او بفعل الظرف الجديد · هنا حدث التحول في ممارسة الجماهير السياسية · فبعد محاولات لانشاء لجان شعبية ولاقامة عمل شعبي بلغ ذروته في المدارس الشعبية التي كتجربة قدمت نموذجا لبداية انخراط فئات من المثقفين المهامشيين في الحياة العامة عبر خلق نماذج لعلاقة مفترضة بين المعلم والتلميذ ، وعبر محاولة كسر حدود المدرسة الايديولوجية وربطها بالحي بعد ان كانت مرتبطة بالنظام التعليمي (الايديولوجية المسيطرة) وجعلها جزءا من حياة الجماهير اليومية · بدات اللجان الشعبية تتوالد · لقد انهارت تجربة المدارس بعد الوثيقة الدستورية، ولم تعد ممكنة في ظل مطر القذائف المباشرة · غير ان البديل الجديد « اللجان» كان اكثر تقدما · اعداد هائلة من الناس تبحث عن وسيلة انخراط في الحرب · ووحدها اللجان تستطيع ان تستوعب هذا المد الجماهيري · لقد جرى تعميم تجربة اللجان في ذروة الحصار · ولدت اساسا ضمن برنامج فعلي بالغ التواضع ، تنظيم تقنين المواد الغذائية وتوزيعها · لكنها غرقت عمليا في بحر التوزيع ، لم تستطع الانتقال وفي ظل شيوع قيم التوزيع الجديدة الى المستوى السياسي · تركت هذا المستوى للصحف ورجال السياسة واغرقت الجماهير في مشاكل التوزيع الى درجة ان اكثر هذه اللجان وجد نفسه دون عمل بعد الانفراج النسبي للمسالة التموينية · هذه الصورة العامة يجب ان لا تحجب